حجم التناقضات بين أطراف معسكر التسوية

لقاء السادات وعرفات — الاتفاق تام

واذن ، فان الاجواء كانت مهيئة والنفوس كانت عامرة بامل النجاح، فلماذا حدث العكس لدرجة جعلت « العزيز هنري » يبكي امام الملأ من شدة حزنه ؟!

تعددت الاجابات والسؤال واحد

لقد تعددت الاجابات على هذا السؤال وتباين التفسير ، تباين مصالح الاطراف وتعددها !

فمنظمة التحرير الفلسطينية ، رفعت عقيرتها وانتفضت زهوا كما ينتفض الطاووس، مدعية ان فشل كيسنجر يعود الى « صلابة » موقفها (!) متناسية ان رئيسها قبل ان يعلن كيسنجر عن ايقاف المفاوضات بين الاسرائيليين والمصريين بوقت قصير ، كان يذرف دموع الخشية من خطورة الوضع الذي يحيق بمنظمة التحرير ويهدد وجودها . وعلى هامش او على « عين » منظمة التحرير ، راح ابرز اقطاب منظمة « فتح » يتبارون في الادلاء بالتصريحات ، مؤكدين على ان ما تعارضه « فتح » لن يكون النجاح نصيبه !

اما اهل النظام السوري ، فلم يتظاهروا بمظهر اعتداد ومفاخرة مثل ظهورهم ، بعد ان وصلتهم اخبار « العزيز هنري » ، التي وجدوا فيها مادة دعائية مناسبة لرفع معنويات « الرفاق » المنهكة باوزار الخلافات الناشبة بين مختلف الكتل والجيوب المتصارعة .

وقد لوحظ ان صورة « العزيز هنري » الباكية ، تملأ شاشة التلفزيون السوري ، مثلما كانت التعليقات « العقائدية » و « الجبهوية » تشغل سائر وسائل الاعلام . وكانت تلك « الصورة » مع التعليقات ابرز مواد المؤتمرات « القطرية والقومية » ، وكانت نتائج كل المناقشات تستهدف الخروج بنتيجة فحواها ان « سوريا » ما تزال قلب العروبة النابض رغم « جولات كيسنجر » التي ترهقها ، وان ترابها ما يزال يحتفظ بطهارته رغم « اقدام كيسنجر » التي تدنسه ، وان « سوريا » ما تزال هي « سوريا » التي لم يعرف تاريخها الحديث غير موقف الرفض والتحدي للامبريالية والصهيونية ، رغم تهالك اهل النظام على التسوية وجرأتهم في الاعلان عن استعدادهم للاسهام بصنع « السلام » لجميع دول المنطقة ومنها اسرائيل بالطبع لكي تنعم بالتمتع بتحقيق ما كان وما يزال ابرز احلامها !

اما الاتحاد السوفياتي ، فقد اتخذ موقفه مرحلتين ، اولهما ، اتسمت بالتواضع ، اذ اعتبرت وسائل الاعلام السوفياتية تعثر الوزير الاميركي ، دليلا على خطأ سياسة « الخطوة خطوة » الاميركية والحلول الجزئية والثنائية ، وبرهانا على صواب السياسة السوفياتية القائلة بأن « مؤتمر جنيف » هو الطريق الاسلم لتحقيق التسوية السياسية بين الاطراف المتنازعة ، اذ طالما ان الجميع (مصر وسوريا وسائر انظمة المواجهة ، ومنظمة التحرير الفلسطينية واسرائيل) متفقون على التصالح وانهاء حالة الحرب والعداء بينهم ، وراغبون في ارساء علاقات حسن الجوار والامن والسلام ... طالما ان الجميع بهذا الموقف . فان اجتماعهم بمؤتمر يضم الاميركان والسوفيات الى جانبهم كفيل بان يجعل من المفاوضات المباشرة بين العرب « المستسلمين » والاسرائيليين الراغبين في « السلام » بالاشراف الدولتين الكبريتين افضل وسيلة واجدى اسلوب من تلك الاساليب الاخرى التي يحاول كيسنجر اتباعها !

اما المرحلة الثانية ، فقد تميزت بالكشف عن الاوراق السوفياتية كلها تقريبا ، اذ استقبلت موسكو وزيري الخارجية المصرية والسورية كما استقبلت ابو عمار ووفد اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، واعلن غروميكو ان الاتحاد السوفياتي يضمن سلامة اسرائيل وامنها اذا وافقت على الانسحاب من الاراضي التي احتلتها عام ١٩٦٧ ، واعترفت بمنظمة التحرير شريكا في جنيف ووافقت على قيام الدولة الفلسطينية في الضفة والقطاع مقابل اعتراف منظمة التحرير باسرائيل من جهة ووافق ايضا على العودة لسياسة « الخطوة خطوة » شريطة ان تتم ضمن مؤتمر جنيف . ان الاتحاد السوفياتي بدأ يتصرف وكأنه هو المسؤول عن نجاح مؤتمر جنيف ، ولذلك بدأ نشاطا ملحوظا من اجل دفع قضية التسوية خطوات الى امام ، من جهة اخرى .

اما الاحزاب الشيوعية العربية التي يعتبر موقفها امتداد لموقف الاتحاد السوفياتي ، فقد سخرت اقلامها وصحافتها لتسهم بتعجيل سير « ركب الاستسلام » تحت يافطة الادعاء بان (موقف القوى الثورية في حركة التحرر الوطني العربية ... التي ارتفع مستوى وعيها السياسي — على امتداد الخمسين سنة الماضية — وعدائها للاستعمار وازدادت كفاحيتها ، وتعمق ارتباطها بالافكار التقدمية افكار التغيير الحقيقية على طريق الاشتراكية) (!) . ان موقف هذه القوى كان العامل الثالث (!) من عوامل افشال سياسة « الخطوة خطوة » الاميركية ، التي يتصدى لها الاتحاد السوفياتي (!) تصديا يتجلى بتقديم (كل الدعم للقوى المناهضة للتسوية الجزئية المنفردة التي تجري على حساب المصالح الاساسية للشعوب

العربية) ... بهذه المزاعم والتضليل سخرت هذه الاحزاب اقلام كتابها ومنظريها .

اما اهل النظام المصري فلم يترددوا في المزايدة على الاخرين ، وانما تجاوزوا بادعائهم كل الاطراف التي تنسب لنفسها عائدية « فشل» كيسنجر ، لدرجة قالوا معها : (ما عسى ان يبلغ عض النمل) ، وماذا كان يمكن ان يفعل الذين (يتاجرون بقرون الحمير) لولا موقف اهل النظام المصري « المبدئي » ! واصفين مزايدات المزايدين بانها احاديث خرافة لا تسمع بغير جراة الذباب مؤكدين على ان المطر لا يجيء بصياح الغراب ، وان التسوية السياسية التي يريدونها لن تتحقق بدون الاعتماد على مصر والسعودية وعلاقتهما الحميمة مع اميركا و (العزيز هنري) ! ومثلما ان العيان لا يحتاج الى بيان ، فان دور اهل النظام المصري بتحقيق ما يزحف المزايدون على بطونهم من اجل تحقيقه ، واضح تماما وان الفضل فيما قطفته التسوية لحد الآن ، يبقى للمبتدىء وان احسن المقتدي !

هكذا اذن ، تعددت الاجابات ، وتباينت ، تباين مصالح الاطراف المختلفة ... على السؤال الذي رسمته « دموع » « العزيز هنري » التي نزلها بمطار بن غوريون وهو يعلن قطع محاولته وايقاف اتصالاته المباشرة مع السادات وراباين مؤقتا !

ادعاءات مضللة !

ان المراقب السياسي ، حين يدقق بهذه الاجابات ويمحصها ويخضعها للمحاكمة الجدية ، سوف يتاكد من انها كانت ادعاءات اكثر منها حقائق يمكن ان يعول عليها في بناء موقف سياسي مناهض للامبريالية ، ذلك انها تحمل مقدارا من التضليل يفقدها الجزء اليسير من الحقيقة التي تنطوي عليها . فلو ان هذه الاطراف نسبت « فشل » كيسنجر الى غيرها واعتبرت مواقفها عوامل ثانوية فيما وصلت اليه جهود وزير الخارجية الامريكية ، لكان لمنطقها وجاهة ومبرر ، بيد ان تماديها في الشطط والافراط بتاثير دورها في النتيجة التي توقف عندها « العزيز هنري » ، قد افرغ منطقها من مضمونه وحوله الى مادة من مواد التضليل التي تدفع الجماهير للتعاق بالاوهام والرقود على وسادة بطولات وهمية ، تنفخ الحقائق الجزئية ، لتغطي بحولها الى بالونات هوائية لا تقوى على تحمل درجة الحرارة الناجمة عن احتكاكها باعاصير الفضاء الساخنة ، فتنفجر متلاشية بين تصادم الاعاصير وتلاطمها !

اما لماذا يطلقون هذه البالونات فمن اجل تزيين مؤتمر جنيف واظهاره على غير حقيقته !

حجم التناقضات بين اطراف معسكر التسوية

هل في هذا الكلام ، افتراء على اهل النظام السوري ، واهل منظمة التحرير الفلسطينية او الاتحاد السوفياتي ؟

لا شك في ان هناك تناقضات بين مختلف الاطراف القابلة في التسوية السياسية القائمة على اساس القرار ٢٤٢ الذي يلزم القابلين به بالاعتراف باسرائيل وانهاء حالة الحرب معها والعيش بسلام قائم على اساس حسن الجوار واياها ، وبالتحديد هناك خلافات بين سوريا والمقاومة والاتحاد السوفياتي مع اميركا ، وهناك خلافات بين سوريا والاتحاد السوفياتي مع مصر ، ولكن كل هذه الخلافات تبقى ثانوية طالما انها محكومة باطار التسوية وعاجزة عن الخروج من اطارها .

فالاتحاد السوفياتي مثلا يعارض سياسة اميركا المعروفة بسياسة « الخطوة ، خطوة) ولكن لقاء غروميكو وكيسنجر الذي سبق جولة كيسنجر

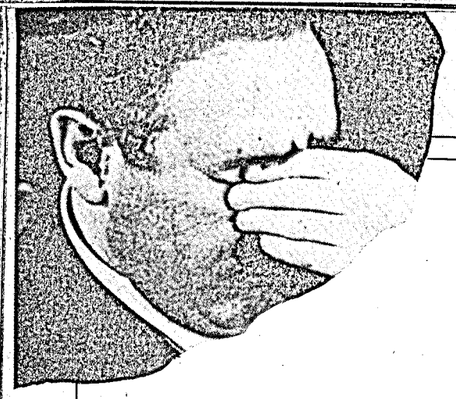

الاخيرة والذي تم في جنيف اظهر اتفاقا في وجهات النظر حول ضرورة تحقيق التسوية السياسية وحل الصراع العربي — الصهيوني بالطرق السلمية .

ومعلوم ان هذه الطرق والحلول ، لا تخدم مصلحة الجماهير العربية عامة والشعب الفلسطيني على وجه الخصوص بحكم كونها ، تكرس الاغتصاب الصهيوني لفلسطين وتنتقص الحقوق القومية لشعبنا الفلسطيني العربي وتجتزؤها لدرجة تجعل من الجزء اليسير من الوطن ثمنا للتنازل عن فلسطين المغتصبة الى الحركة الصهيونية وبعبارة اخرى انها تشتري الارض التي احتلت عام ١٩٦٧ ، بفلسطين التي اغتصبتها الصهيونية عام ١٩٤٨ وهذه المساومة الرخيصة ، لا تنطوي على التنازل عن حقوقنا القومية فقط وانما هي اعتراف صارخ بالاغتصاب واقرار مناقض لكل مبادىء حق تقرير المصير للشعوب ، وتكريس مشين للامر الواقع الذي يفرضه العدوان !

اما الامر الذي يثير الاستغراب والضحك في آن معا ، فهو امر الحكام السوريين الذين يتبجحون بصلابة موقفهم و « ثباته المبدئي » الذي ادى الى « فشل » كيسنجر !

اية صلابة واي ثبات هذا الذي يتحدثون عنه ، واي صراع هش هذا الذي يخوضونه ضمن نطاق التسوية ؟

ان الكذب حبله قصير وقد لاحظنا كم كان موقف سوريا « صلبا » حين بقيت ثقاتل تسعين يوما من اجل ان توقع اتفاق فك الارتباط اقتداءا بمصر وسيرا بركابها لتفرغ موقف الشعب السوري من مضمونه المبدئي الثوري ضد اسرائيل !

اذا كان للاتحاد السوفياتي ان يقول انه لا يستطيع ان ينظر الى قضية الصراع العربي — الصهيوني من غير منظور الوفاق الدولي ، فليس للذين ما يزالون يدعون انهم حملة شعارات الوحدة والحرية والاشتراكية ان يجدوا ما يبرر موقفهم ويجعله مقبولا لدى جماهيرنا العربية ، فالشعب السوري لا يمكن ان يقبل مساومة رخيصة كهذه المساومة !

ولعل الجراة التي بدا يتحدث بها الناطقون بلسان منظمة التحرير بخصوص استعدادهم للذهاب الى جنيف تكشف الاسلوب الجديد الذي بدات قوافل التسوية تسير عليه . فقد اتاح تصريح السادات عن ذهاب الجامعة العربية الى جنيف للمشاركة في المؤتمر نيابة عن الفلسطينيين ، الفرصة واسعة لهؤلاء الناطقين لان يرفضوا ان تمثلهم الجامعة العربية واصروا على انهم « الممثلون الشرعيون الوحيدون » للشعب الفلسطيني .

انها وايم الحق مبادرات « ذكية جدا » هذه التي يقوم بها الذين ما يزالون يحملون شعار « ثورة حتى النصر » ! حين يستغلون تصريحا هزيلا ليعلنوا قبولهم بالمشاركة بمؤتمر تصفية القضية الفلسطينية وبيعها للصهيونية اعلانا يحاول ان يتسلل متخفيا وراء الرد على السادات ورفض دعوته لان تمثل الجامعة العربية الفلسطينيين ! وكأن رفض راي او اقتراح السادات لا يمكن الا من موقع القبول بالتسوية — الخيانة !

لقد علمنا دعاة الحل « السلمي » على اخراج مواقفهم